جامعة محمد بوضياف

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

مقياس : فكر شرقي- قديم- السنة الثانية ليسانس السداسي الأول: 2021-2022

د: بوزبرة عبد السلام

المحاضرة الخامسة: الفكر الصيني

مقدمة: تذهب الموسوعة البريطانية إلى القول بخصوص الفلسفة الصينية، إن الهموم الأخلاقية والسياسية حَجَبت . في هذه الفلسفة . المسائل الماورائية أو الميتافيزيقية، وإن الطابع الإنساني، بمعنى التركيز على الإنسان والمجتمع، قد غلب على الفكر الصيني عبر تاريخه الطويل كله. تبدو هذه المقولة موضوعية في ظاهرها، فالفكر الصيني القديم كان أهم ما ميزه طابعه العملي، لذلك فنحن نراه قد أولى الموضوعات العملية، أو التي لها انعكاس عملي أولوية كبيرة. لكن هل هذا يعني إلغاء أي مساهمة فلسفية خالصة في هذا الفكر الشاسع القديم، ثم ما هي طبيعة هذا الفكر الأخلاقي والسياسي وعموم الفكر الصيني؟.

قد يلزم للإجابة على هذه المشكلة الغوص في التاريخ، واستعمال جملة من المناهج الإنسانية، وكذا إعمال العقل استنتاجا واستقراء، وإن كنا نسلم جدلا بوجود موقفين، موقف ناف لوجود فلسفة صينية، حيث يصبح التراث الصيني مجرد فكر بسيط لا يرتقي إلى أن يكون فلسفة، وهو ما وجدناه في الموسوعة البريطانية. وموقف يثبت هذا الأمر ويجعل من الفكر الشرقي عموما والصيني من ضمنه فلسفة بامتياز، وهي بهذا مقدمة أساسية للفكر اليوناني لا يمكن الاستغناء عنها. وتيار ثاني ينفي هذا الأمر ويعتبر الفلسفة علم يختص به الغرب لاختصاصهم بجملة من المعطيات العرقية والجغرافية وغيرها أهلتهم لهذا الأمر.

وعموما يمكن القول بأن بدايات الفلسفة أو الفكر عند الصينيين سبقت نظيرتها عند اليونان، حيث يذهب المؤرخون إلى اعتبار شي بو خو رائدا لهذه الفلسفة الصينية مماثلا لطاليس عند اليونان وإن كان قد سبقه بقرنين.

نبذة عن تاريخ الصين قبل بزوغ الفكر الصيني: يبدأ التاريخ المسجل للصين بأسرة شانج حيث سادت حضارة متقدمة يدل عليها الفن الراقي الذي سادها، والتي أعقبتها أسرة تشو في عام 1122ق.م. والتي كانت أهم ميزاتها القوة التي ساعدتها على التوسع وإنشاء إقطاعات أعطت أمر الاهتمام بها للنبلاء ورؤوس القبائل.

غير أن هذا التنظيم للملكيات أدى في ما بعد إلى الصراع بين هؤلاء الإقطاعيين، إلى أن أصبح هذا الأمر هو العادة السائدة، وكانت نهايته الانقضاض على الملك من طرفهم سنة 770م، وهنا ساد الصراع والاضطراب، وانتشرت رذائل الأخلاق فساد التآمر والعنف في السياسة مما غلب قيم النفاق والمصلحة والغش والخداع عن غيرها من الأخلاق الحسنة، وهو ما ورّث الصراع والحروب الذين كانت نتيجتهما الفقر والتشرد بالنسبة للشعب، وكان هذا الوضع إيذانا بظهور كل من كونفيشيوس، ولاو تزي. فكانت فلسفتهما بالأساس تدعوان إلى العودة بالشعب الصيني إلى الأخلاق والدين.

خصائص الفلسفة الصينية: تقوم الحضارة والثقافة الصينيتان على أساس فلسفي تشكله في المقام الأول مبادئ الكونفوشية والتاوية والكونفوشية الجديدة. وقد قامت هذه الفلسفات الثلاث بتشكيل حياة الشعب ومؤسساته وكانت مصدر إلهام لها عبر ما يزيد على خمسة وعشرين قرنا من الزمان. ويمكن الحديث عن جملة من الخصائص المشتركة لهذه المدارس. تمثل في ذات الآن خصائص الفكر الصيني.

الخاصية الأولى: تهدف الفلسفة الصينية ليس إلى فهم العالم ولكن إلى تحقيق العظمة على المستوى الفردي، حيث يتعلق الأمر بعظمتين داخلية وخارجية، «عظمة داخلية » تعني شموخ الروح منعكسا في سلام الفرد ورضائه بكماله .وهو يتضمن ثانيا« عظمة خارجية » تظهر في القدرة على العيش بصورة جيدة على الصعيد العملي مع الشعور بالعزة في السياق الاجتماعي الذي يوجد فيه المرء في حياته اليومية ألمألوفة. وهذا المثل الأعلى يسمى ب(الحكمة في الداخل والنبل في الخارج). يقول لاوتسوو: يقول« لاوتسو (إنه ما لم يعرف المرء ويحيى وفقا لقوانين الكون الداخلية التي يسميها الثوابت فإنه ينتهي بكارثة. ويقول كونفشيوس: (كان القدماء الذين يرغبون في إبراز شخصيتهم النقية للعالم، يعمدون أولا إلى نشر النظام في دولهم، والذين رغبوا في نشر النظام في دولهم كانوا ينظمون عائلاتهم أولا، والذين رغبوا في تنظيم عائلاتهم، كانوا يرعون حياتهم الخاصة أولا) ، لذلك فعام الناس يحتل الصدارة مقارنة بعالم الأشياء وهذه السمة تتجلى في الكونفوشية في التأكيد على النزعة الإنسانية الاجتماعية، وتبدو واضحة في التاوية في الوحدة الصوفية الأنطولوجية بين النفس والكون.

الخاصية الثانية: أولوية الروحي على الجسمي: وهو ما أدى إلى القول بالجانب الأخلاقي، ففي الكونفشيوسية يتم الدفاع عن البشر باعتبارهم كائنات أخلاقية أما بالنسبة للتاوية فهي تشدد على النوعية الرفيعة للحياة وتهدف إلى الوصول إلى مستوى أسمى للوجود الإنساني.

الخاصية الثالثة: التأكيد على الفضائل العائلية: وتتمثل على وجه الخصوص في حب الأبناء للآباء، وهو ما يضمن صيانة العائلة، وهو ما تم التأكيد عليه من قبل كل الفلسفات الصينية.

الخاصية الرابعة: التأكيد على خاصية التركيب بين الرؤى المتنافرة أو التوفيق بينها، هذا التأكيد على التكامل في الفلسفة الصينية ينعكس في موقف تركيبي يرى الانسجام في نظريات تبدو متعارضة ظاهريا وبالمثل في أنماط من الحياة، ومن ذلك تعايش الكونفشيوسية مع التاوية، وتأقلم كليهما مع الديانة البوذية الغريبة عن المجتمع الصيني.

الخاصية الخامسة: كما يمكن الحديث عن خاصية جوهرية تتمثل في تغليب الجانب العملي على الجانب النظري، فالفكر الصيني يهدف إلى إيجاد الحلول العملية للمشكلات التي يصادفها الإنسان العادي. لذلك كان اهتمامهم بالأخلاق والسياسة.

نماذج من الفلسفة الصينية

تعددت المذاهب والمدارس الفكرية الصينية حسب تعدد مصادرها، والمؤثرات المختلفة عليها، والظروف التي أحاطت بنشأتها، وفي هذا الإطار يمكن إحصاء جملة من هذه المدارس أو المذاهب والتي تعتبر أهمها والمتمثلة في: الكونفشيوسية، التاوية، الموهية، مدرسة الأسماء، المدرسة القانونية...، ونظرا للتأثير الكبير الذي تركته الفلسفتان الكونفشيوسية والتاوية في الفكر والثقافة الصينية، ولما تزخرا به من فكر فلسفي، فقد ارتأينا التعرض لهما دون أن يعني ذلك الحط من غيرهما من المدارس.

الكونفشيوسية: يعتبر كونفشيوس المؤسس الحقيقي للفلسفة الصينية بإقامته لنسق فلسفي حقيقي سبق به غيره، ومن هنا تنبع أهمية دراسته. واسمه الأصلي كزنغ تشيو عاش بين (551قم، 479 قم) حيث ولد في مملكة (لو) والتي عاد إليها بعد رحلة قصيرة إلى مملكة (كي) ليشتغل بالتدريس، وأهم الوظائف التي مارسها هي وزارة العدل، حيث اشترك في رسم السياسة لمدة عشر سنوات، ورغم تنقله بين المملكات فإنه لم تتح له الفرصة لتطبيق أفكاره، فاهتم بالتعليم حيث تخرج على يديه طلبة كثر تولوا أعلى المسؤوليات في الدولة والمملكات المختلفة، وقد كان يفخر بذلك في أخر أيام حياته. تأثر كونفشيوس واستمد إلهامه من الكتب الكلاسيكية الخمسة وهي كالتالي:

أ- كتاب الشعر(شيه تشينج Shih Ching)وهو مجموعة من الأشعار تعود إلى عهد تشو.

ب- كتاب التاريخ(شو تشينج Shu Ching) وهو مجموعة من السجلات والخطب والوثائق الرسمية من 2000إلى 700 ق.م.

ت- كتاب التغيرات(التغيرات تشينج Ching-H) وهو مجموعة من الصياغات لتفسير الطبيعة تستخدم على نطاق واسع في أغراض العرافة(ويعزى هذا العمل تقليديا إلى وينج وانج Weng Wang1100 ق.م).

ث- كتاب الطقس (لي تشي Li tchi) وهو مجموعة من القواعد التي تنظم السلوك الاجتماعي .وقد تم تأليف هذا الكتاب بعد كونفوشيوس بوقت طويل ولكنه قد يمثل بصورة جيدة القواعد والعادات التي تعود إلى عصور سابقة.

ج- حوليات الربيع والخريف(تشو تشو (Chun chiu)وهو تأريخ للأحداث في الفترة من 722 إلى 464 ق.م.

كتبه: وقد قام تلامذته بجمع دروسه ومحاضراته وملاحظاته في أربع كتب هي:

أ- مختارات كونفوشيوس لون يو (Lun yu)وهي أقوال كونفوشيوس لتلاميذه وقد قاموا بجمعها وتنسيقها.

ب- العلمالعظيم) تا هسو (Ta hsueh) وهو يضم تعاليم كونفوشيوس التي تحتوي اقتراحاته الخاصة بنظام الحكم ويعكس هذا الكتاب تطوير هسون تسو لفكر كونفوشيوس.

ت- عقيدة الوسط تشونج يونج (Chung yung) ويضم تعاليم تنسب إلى كونفوشيوس حول تنظيم الحياة.

ث- كتاب منشيوس منج تسو (Meng tzu) وهو شروح على متن مبادىء كونفوشيوس كتبها منشيوس الذي يعد من الشراح الأوائل لكونفوشيوس.

وجوهر تعاليم كونفوشيوس المتضمن في هذه الكتابات يعبر عنه بالقول بأن الشخص من خلال تطويره لجوانبه لإنسانيته الداخلية يمكن أن يصبح عظيما في السلوك الشخصي والحياة الخاصة وكذلك في العلاقات مع الاخرين .وعندما يقوم كل الأفراد بذلك فإن الخير سينتشر والسعادة ستتحقق.

أفكاره الفلسفية: على العموم كان كونفشيوس يؤثر الابتعاد عن مناقشة قضايا الدين والميتافيزيقا، مؤثرا عنها القضايا العملية والواقعية. كما كان محافظا داعيا للحفاظ على الاستقرار إن على المستوى الاجتماعي والسياسي، أو على المستوى التربوي، أ، الديني والفلسفي. ولقد تطرق كونفشيوس إلى جملة من المباحث والموضوعات الفلسفية العملية في عمومها، منها موضوعات الخير، وما وراء الطبيعة، والسياسة، والتربية.

ففي الأخلاق يرى كونفسيوس بأن الإنسان بطبيعته مستقيما، لكن تفسدهم المكتسبات الاجتماعية، لذلك وضع جملة من القواعد لعودة الإنسان لطبيعته الخيرة منها فكرة الجين ومعناها: أن يعامل الإنسان الناس كما يحب أن يعاملوه. وعليه فرجل الجين فهو يبني خلقه وخلق الآخرين فهو محب لهم كذاته، وعليه أن يكون وسطيا بين الإفراط والتفريط فلا يعلو على درجة البشر ولا يسقط في البهيمية.

وأهم الفضائل التي على الإنسان التحلي بها: العلم، والأمانة، والبساطة والأنفة، وأ، يكون معاصرا لزمنه مطالعا للتراث، محافظا على طمأنينته رغم الاضطرابات.وأما في الجانب السياسي فقد نص على ضرورة تقيد السياسة بالأخلاق، وذلك بالرقي بأفراد الرعية لتحقيق الاستقرار، ولتحقيق الرفاهية والصلاح، يجب أن يتولى شؤون الدولة أعظم وأصلح الرجال في نظام تربوي رصين يحضر الناس لمواطنة صحيحة وسليمة. وأما

في ما وراء الطبيعة والدين فقد كان يدعو إلى الخوف من إرادة الله، وخشية الرجل العظيم والانصياع لوصايا الكهنة، وفي هذا دلالة على الانصياع لإرادة السماء، في انقياد تام للفكرة التقليدية حول الخضوع لإرادة الله. وإن كان بعض الدارسين لاحظوا التضارب في فكرته حول إرادة السماء، وهو ما برروه بتأثير سقوط هذه الفكرة في نهاية أسرة (تشو).

كما كان كنفشيوس يقر بوجود الآلهة ويدعوا لتقديم الهدايا والأضاحي لها، وهو ذاته موقفه من الأرواح، ومنه يظهر تقديسه للموت، فمن لا يعرف الحياة لا يعرف الموت. وأما في ميدان نظرية المعرفة فهو يؤمن بالمعرفة الفطرية، ويجعل الحاصلين عليها في أعلى سلم القيم المعرفية يليه المتعلمون، يليه الذين يجتازون الصعوبات. وإن كان على العموم يدعوا إلى طلبة المعرفة، جاعلا نفسه أحد طالبيها، مما يؤكد على تذبذبه في قضية المعرفة الفطرية. وهو يقع بين الفلسفتين المثالية والمادية في مسألة المعرفة وذلك بإدخال عناصر مادية في نظريته.

وأما في التربية فقد كانت له نظرية تدعو إلى الانتقال إلى المعرفة من الوقائع، على أن تتم المحافظة على هذه المعارف وغيرها من المعارف القديمة بالمراجعة والتثبيت، والاعتماد عليها لتحقيق معارف جديدة، كما دعا إلى الابتعاد عن التكهن والتسرع في إطلاق الأحكام وادعاء العصمة وغيرها من الخصال المذمومة، ودمج بين التعلم والتفكير، فغاية التعلم هو التفكير، كما أن التعلم لا يحصل بدونه. وفي أسلوب التربية دعا إلى احترام رغبات التلميذ واستعداداته واستقلالية التعلم بما يورث الاعتماد على النفس، يقول: " دع التلاميذ يفكرون بصورة مستقلة، ولا تحثهم على التفكير إذا لم يستطيعوا التعبير عما يفكرون فيه بعد تكرار التفكير والتأمل، ولا تعلموا التلميذ إذا لم يستطع المعرفة عن طريق القياس"

ثانيا: التاوية: هي نظام فلسفي وأخلاقي وسياسي وديني صيني، يركز علي العيش في تناغم مع التاو (الذي يعني الطريق أو المبدأ: الطبيعي، التلقائي، الأزلي، الذي بلا إسم ولا يمكن وصفه. يرمز له بالماء التي تذهب في طريقها بتلقائية دون تفكير).

لاو تسي المؤسس: ترجع الفلسفة الطاوية في نشأتها إلى الفيلسوف لاو تسي، وهو فيلسوف صيني قديم وشخصية مهمة في الطاوية ولد 604 ق.م. تعني الكلمة السيد القديم وتعتبر لقب تفخيم. ومن ألقابه تايشانغ لاوجون وهو أحد الأنقياء الثلاثة في الطاوية. حسب التقليد الصيني عاش لاوتزه في القرن السادس قبل الميلاد، لكن المؤرخين يقولون إنه شخصية خيالية أو أن الشخصية نتيجة جمع عدة شخصيات مختلفة أو إنه عاش في القرن الرابع قبل الميلاد بالتزامن مع مدارس التفكير المائة وعصر الدول المتحاربة. ينسب إليه كتابة العمل الأهم في الطاوية (تاو تي تشينغ) الذي كان يعرف باسم لاوتزه. لاوتزه من الشخصيات الرئيسية

في الحضارة الصينية، ويدعي نبلاء وعامة أنهم ينتسبون لنسله. وعبر التاريخ اعتنقت عدة حركات معادية للسلطات أفكار لاوتزه.

مفهوم التاو: والتاو هو مصدر كل شيء وتأتي القوة وراءه، ويمكن أن يجده البشر في داخلهم. لكن التوحد مع التاو يختلف عن التوحد مع براهمان في الهندوسية ، فالموضوع يتعلق بالاتساق مع هذا المبدأ أكثر منه تماثل أو وحدة وجود. إذا اعتبرنا أن التاو هي الطريق، فإن هذا الطريق لا نعرف منتهاه وفي هذا الصدد يقول لاوتسو "لا ترسم الطريق قط بشكل مسبق"، ثم نجد مفهومًا طاغيًا عند الصينيين وهو "اللافعل" ويقصد به أنك تسير في الطريق والطريق هو مجرد احتمالات، مفهوم "اللافعل" جسده "بروس لي" في مقولة جميلة:" أقسى شجرة دائمًا تكون سهلة التشقق، في حين أن الخيزران أو الصفصاف يبقى على قيد الحياة لأنه ينحني مع الريح" ومع ذكرنا لشجرة الخيزران فإن هذه الشجرة تشكل هوية الصينيين وتجمع بين المرونة (في الأكل) والصلابة (في البناء). يركز أتباع التاو علي الطبيعة والصحة والحصول علي حياة طويلة قد تصل للخلود المادي في هذا الجسد. يتم تحقيق هذا الخلود من خلال ممارسات وطقوس وحميات غذائية خاصة وبعض الممارسات السحرية والتدريبات البدنية. مبدؤهم في الفلسفة الصينية وفي التاوية تحديدا هو (wu-wei) الفعل من خلال اللافعل أو الفعل بلا مجهود أو نية. فهم يرون أن الشخص عندما يحقق مشيئته عكس سير العالم فهو يعطل التناغم. لذا فهم لا يدعون مثل البوذية للتخلي عن الرغبات أو الإرادة لكن إخضاعها في تناغم مع الكون الطبيعي. لذا بعكس كونفوشيوس الذي كان يدعو للتعليم يدعو أتباع التاو للتخلص من التأثيرات الثقافية والمجتمعية التي أفقدت الشخص حالتة الأصلية.

الطبيعة: فواحد من المبادئ الهامة هو الطبيعية: وهو يصف الحالة الأولية لكل الأشياء وهو الصفة الأساسية للتاو لذلك للوصول لها يجب التوحد مع التاو والتخلص من الأنانية والرغبة وتقدير البساطة. وتربط عادة الطبيعية بالإبداع والتلقائية.

الدائرة الجدلية: من بين أبرز مميزات التاوية هي "الدائرة" التي نجدها أينما حللنا وارتحلنا في المحلات التجارية ناهيك عن غزوها الكبير للموضة، هذه الدائرة تحمل في ثناياها نوعًا من الجدل ونوعًا من التكامل، حيث تتكون هذه الدائرة من قطبين "اليانغ" ويمثل الذكورة - الموجب - النور - الخير..، ثم "الين" التي تمثل السالب - الأنوثة - الظلام - الشر.

دائرة التاو تقوم على نوع من التناوب، وبين "اليانغ" الذي يكون باللون الأبيض و"الين" التي تكون باللون الأسود نجد بينهما خطًا متموجًا وليس خطًا فاصلًا، وهذا الخط المتموج معناه أنه يمكن أن يمتزج الموجب مع السالب وأن يتحول الخير إلى الشر، هذه الدائرة ليست لها بداية ولا نهاية ولا توجد فيها أي أطراف وبها

مساحة مضيئة تتخللها نقطة سوداء، ومساحة مظلمة تتخللها نقطة بيضاء، ومعنى هذا أن الظلام يمكن أن يصبح نورًا، وأن الخير يكمل الشر وهكذا دواليك.

تقوم دائرة التاو على الثنائية الضدية أي أن الشيء يمكن أن يتحول إلى نقيضه وهذا ما نجده حاضرًا بقوة في دائرة التاو، وهنا وجدنا أنفسنا قابعين في عمق الجدل الهيغيلي الذي استمده "هيغل" من الفلسفة التاوية وخير مثال على هذه الفكرة هي "جدلية العبد والسيد عند هيغل" فالعبد يصبح سيدًا لسيده، والسيد يصبح عبدًا عند عبده، وعند ملاحظة "دائرة التاو" تبدو لنا ثابتة ولكنها مصدر التغير والحركة.